Gümüşhane Üniv. İlahiyat Fakültesi Dergisi
2020, 9, cilt:9, sayı: 18, sayfa: 184-198
ISSN: 2146-7900

Yayın Geliş Tarihi /Received: 10.04.2020
Yayın Kabul Tarihi / Accepted: 17.06.2020
Makale Türü / Article Types: Araştırma Makalesi

العناصر السردية في رواية شقة على شارع النيل

Fikri GÜNEY*

ملخص

الرواية جنس أدبي نثري يعتمد على الحكي، وهي عمل إبداعي تجتمع فيه عناصر متداخلة تسهم في نقل الأحداث الروائية، أهمها الشخصيات والزمان والمكان واللغة.

وتتناول الرواية مشاكل الحياة ومواقف الإنسان منها في ظل التطور الحضاري السريع، وتعالج موضوعات مختلفة، كالموضوعات الاجتماعية والتاريخية والعاطفية وغيرها.

ولكل روائي طريقة خاصة في بناء العناصر السردية في روايته في قالب يجده أكثر ملائمة لإيصال آرائه للمتلقين، وقادرًا على نقل أحداث الرواية في الوقت نفسه.

يهدف هذا البحث إلى دراسة العناصر السردية في رواية "شقة على شارع النيل" للروائي أحمد زياد محبك، والكشف عن الأساليب التي وظفها الروائي في بناء الشخصيات والزمان والمكان واللغة في هذه الرواية.

كلمات مفتاحية: رواية، زياد محبك، النيل، شارع، الشقة.

NİL SOKAĞINDA BİR DAİRE ROMANINDA ANLATIM UNSURLARI

Öz

Roman yaşanmış bir hikâyeye dayanan edebî nesir türüdür. Diğer nesir türlerinden farkı uzun olmasıdır. Anlatılan olayların aktarılmasına katkı sağlayacak iç içe geçmiş öğelerin bulunduğu yaratıcı bir çalışmadır. Romanı en önemli kılan da dil, zaman ve kişilerdir.

Roman, hızlı uygarlık gelişimi ışığında yaşamın sorunlarını ve insanlara karşı tutumlarıyla ilgilenmektedir. Duygusal, tarihsel, sosyal ve benzeri çeşitli konuları ele alarak yaşamın sorunlarına çözümler arar. Zaman zaman yazar romanın karekterlerini konuşturur ve bunların diliyle mesajını okuyucuya aktarır. Hatta tarihi olayları irdelemeye çalışır.

Her roman yazarı, romanında okuyucuya düşüncelerini ulaştırmada kendince uygun bulduğu kalıplarla, ayrıntılı anlatımın öğelerini yerleştirmede özel bir yol izler. Yazar aynı zamanda romanın olaylarını aktaramaya da muktedirdir. Romanda olaylar ve kişiler gerçeğe uygun bir tarzda ele alınır. Okuyucuyu tarihin derinliklerine götürerek oradaki olayları zihninde canlandırmasına yardımcı olur.

Atıf: Güney, Fikri. "العناصر السردية في رواية شقة على شارع النيل / Nil Sokağında Bir Daire Romanında Anlatım Unsurları". gifad: gümüşhane üniversitesi ilahiyat fakültesi dergisi / the journal of gümüşhane university faculty of theology 15 (Temmuz / July 2020/2): 184-198.
* Dr. Öğr. Üyesi, Gümüşhane Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Arap Dili ve Belağatı Anabilim Dalı, e-mail: fikriguney@gumushane.edu.tr, ORCID: 0000-0002-3697-5884.

Bu çalışma, roman yazarı Ahmed Ziyad Muhabbik'in "Nil Sokağında Bir Daire" romanındaki anlatı öğelerini incelemeyi ve bu romandaki karakterleri, zamanı, yeri ve dili oluştururken kullandığı yöntemleri ortaya çıkarmayı amaçlamaktadır.

Anahtar Kelimeler: Roman, Ziyad Muhabbik, Nil, Sokak, Daire.

NARRATİVE ELEMENTS IN THE NOVEL OF "AN APARTMENT ON NİLE STREET"

Abstract

The novel is a literary prose genre based on telling, and it is a creative work in which intertwined elements that contribute to the transmission of narrative events, the most important of which are personalities, time, place and language, meet.

The novel deals with the problems of life and human attitudes towards them in light of the rapid civilization development, and addresses various topics, such as social, historical, emotional and other topics.

Each novelist has a special way of building narrative elements in his narration in a template that he finds more suitable for communicating his views to recipients, and able to convey the events of the novel at the same time.

This research aims to study the narrative elements in the novel "Flat on the Nile Street" by the novelist Ahmed Ziyad Mohebak, and to reveal the methods employed by the novelist in building the characters, time, place and language in this novel.

Keywords: Novel, Ziyad Mohebak, Street, Nile, Apartment.

مدخل

يعني السرد "الكيفية التي تروى بها القصة وما تخضع له من مؤشرات بعضها متعلق بالراوي والمروي له والبعض الآخر بالقصة ذاتها".[1] أي أن السرد هو نقل الحكاية إلى المتلقي، فالمحكي خطاب شفوي، مكتوب يعرض حكاية، والسرد هو الفعل الذي ينتج هذا المحكي.[2]

إن مشروع السرد هو أساسًا المساهمة التي يقدّمها في مشروع تغيير العالم من حوله، وتبعًا لذلك ينطلق الروائي من رؤيته وثقافته ووجدانه وذكرياته وأحلامه في بناء عناصره السردية في روايته.

ويستوحي الروائي شخصياته الروائية من حياته الاجتماعية، ومما يراه أو يسمعه، ويضيف إليها من خياله، كي تصبح مادة مهمة لعمله الفني، الذي ينبغي أن يضعه في إطاره المناسب.

والزمان والمكان جانبان مهمان للإطار العام للعمل الروائي، فالأحداث الروائية تتطلب إطارًا زمنيًّا ومكانيًّا تتحرّك فيهما شخصيات الرواية، ويُعينان الروائي على نقل التجربة وتحقيق الفهم.

واللغة هي صلة الوصل بين الروائي والمتلقي، وهي وسيلة الكاتب يحمّلها ما يشاء من أفكار، ويجعل شخصياتها تنطق بها لتصل إلى المتلقين.

[1] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط1 (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1991)، 45.
[2] جيرار جنيت وآخرون، *نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير*، ترج. ناجي مصطفى، ط1 (الدار البيضاء: منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، 1989)، 97.

إن تعدّد وجهات النظر وتنوعها، وتعدد الأدوات والأساليب في بناء الرواية تجعل الروائي أمام عدد لا نهائي من الخيارات المتاحة أمامه كي يبني عالمه الروائي. والروائي الجيد هو الذي يختار من هذه الأساليب أقدرها على نقل تجربته ورؤاه.

والروائي أحمد زياد محبك انتقى من هذه الأدوات والأساليب في بناء عناصر روايته "شقة على شارع النيل"[3] ما وجده يخدم الغرض الذي أراده في روايته هذه. وسنحاول في الصفحات التالية دراسة وسائله في بناء العناصر الروائية، والكشف عن مقاصده في اختيار هذه الوسائل دون غيرها.

1. تعريف بالكاتب

أحمد زياد محبك "قاص وروائي وناقد سوري، وأستاذ الأدب العربي في جامعة حلب. ولد في مدينة حلب عام 1949، وحاز على الدكتوراه في الأدب العربي الحديث من جامعة دمشق عام 1984، وحاضر في عدد من الجامعات السوريّة والعربية والعالمية".[4]

وللكاتب مؤلفات كثيرة في مجال النقد والإبداع الأدبي؛ فقد قدّم الكثير من الدراسات النقدية في فنون المسرحية والشعر والرواية، وكتب العديد من القصص والروايات.

نشر الكاتب "نشر خمس عشرة مجموعة قصصية، منها: "يوم لرجل واحد" (1986)، و"حجارة أرضنا" (1989)، و"وردات في الليل الأخير" (2005)، و"نجوم صغيرة" (2006)، و"الأعمدة والغزالة" (2009). كما نشر ثلاث روايات، هي: "الكوبرا تصنع العسل" (1996)، و"حمامات بيض ونارجيلة" (2001)، و"شقة على شارع النيل" (2018). وله رواية كتبها عام 2010 عنوانها "النيل لا يجف"، لم تنشر بعد".[5]

2. تعريف بالرواية

رواية "شقة على شارع النيل" رواية طويلة نسبيّا تمتد على اثنين وأربعين فصلًا وتقع في 370 صفحة، "وتُعنى بتصوير حياة الناس في حلب في ظلّ ظروف الحرب التي عصفت بها خلال عام 2013، وما خلفته هذه الحرب من آثار على الإنسان والمكان، فأصابت الإنسان بالقتل والقهر والخوف والتهجير، وأصابت المكان بالتخريب والتّدمير".[6]

تتحدّث الرواية عن قصة أبي جميل وأم جميل، وتقدّم مراحل حياة الزوجين والظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة التي مرّا بها، والمعاناة التي واجهاها خلال هذه المراحل، وخاصة معاناتهما في السنوات الأخيرة بعد عام 2004؛ نتيجة الشعور بالوحدة بسبب ابتعاد الأبناء والإخوة عنهم. وقد بلغت هذه المعاناة ذروتها في عام 2013 عندما دارت الحرب في مدينة حلب.

أبو جميل من مواليد مدينة حلب عام 1950، مدرس لمادة التاريخ، متقاعد. كان تعرّف على زوجته أم جميل في مدينة عفرين، حين كان يدرّس في إحدى المدارس الثانوية هناك. بعد زواجهما رُزقا بجميل وهيفين، وقد تخرّج جميل في كليّة الطبّ وسافر إلى السعوديّة ليعمل طبيبًا هناك، وتزوّجت هيفين وسافرت إلى قطر حيث يقيم زوجها هناك.

بدأ أبو جميل حياته الزوجية مع شيرين في حي الفرافرة في بيت أهله، ثم تنقّل مع زوجته بين عدّة أحياء في حلب، ليستقرّ أخيرًا في حي شارع النيل بعد أن اشترى فيه بيتًا من مال ابنه الطبيب جميل.

وعلى الرغم من خطورة العيش في حلب "تحت وطأة الحرب المقيتة فقد فضّل الزوجان الاستمرار بالعيش فيها، وعاشا حياة قاسية ملؤها الإحساس بالخوف والألم والحزن، وكان آخرها ضربة موجعة في صميم القلب نتيجة مقتل ابنهما الطبيب جميل في طريق عودته إلى حلب".[7]

3. بناء الشخصيات

[3] أحمد زياد محبك، *شقة على شارع النيل* (دمشق: دار أمل الجديدة، 2018).
[4] محمد الأحمد، "البعد النفسي في رواية حمامات بيض ونارجيلة لأحمد زياد محبك"، مجلة شرقيات 2/11 (أغسطس 2019)، 618.
[5] الأحمد، "البعد النفسي في رواية حمامات بيض ونارجيلة لأحمد زياد محبك"، 618.
[6] محمد الأحمد، "انعكاس الحرب على الرواية في سورية رواية شقة على شاعر النيل نموذجًا"، *مجلة كلية الإلهيات في جامعة جوكوروفا* 1/19 (يونيو 2019)، 160.
[7] الأحمد، "*انعكاس الحرب على الرواية في سورية رواية شقة على شاعر النيل نموذجًا*"، 160.

الشخصية عنصر مهم في الرواية، فهي "مدار المعاني الإنسانية، ومحور الأفكار والآراء العامة".[8] والشخصية من صنع الروائي؛ ولهذا عرّفها سمر روحي الفيصل بأنها "تركيب أبدعته مخيلة الراوي وجسدته اللغة".[9]

يمكن تصنيف الشخصيات بناء على الدور الذي تقوم به في السرد الروائي على النحو الآتي:

- شخصية رئيسية: تتحرك منذ بداية الأحداث لتحقيق هدف معين، وقد تنجح أو تخفق في تحقيق هذا الهدف.
- شخصية ثانوية: مكتفية بوظيفة مرحلية.
- شخصية هامشية: مكتملة تكون ذات دور صغير جدًا تقتضيه طبيعة تطوير الأحداث، لتملأ الفراغات، وتقوم بدور الرابط الفني بين عناصر الرواية المنفصلة.

وبساطة دور الشخصيات في الرواية لا يقلّل من أهميتها، فالروائي الجيد هو الذي يجعل عنايته بالشخصية العابرة مماثلة لعنايته بالشخصية الأساسية، بحيث تؤدي الشخصية العابرة وظيفة لا تستقيم الرواية من غيرها.[10]

تبلغ شخصيات الرواية حوالي ثلاثين، منها شخصيتان رئيسيّتان هما عبد المجيد (أبو جميل) وزوجته شرين (أم جميل). والكثير من الشخصيات الثانوية، منها: جميل، وأبو سامر، وسامر، وحكمت بك، وأبو وائل، وأم وائل، والباحثة اللبنانية سلمى، ورجاء، وأبو سليم، وأم صلاح. والكثير من الشخصيات الهامشية، منها: هيفين، وأم عصام، وسعاد، والأستاذ خالد مكسور، وأكرم المحمد، وكامل، والحاج إسماعيل، ورؤوف، وأبو منير، والدكتور سمير، والطبيب الجراح ميشيل، والروائي سامي، وأبو نديم، وأم نديم، وعُلا، والدكتور عادل، والبائع، والعجوز الذي مات قنصًا، والمدرّسات في المدرسة الثانوية، ومديرة المدرسة، ومعاونتها، ومسير المعاملات، وبائع الفواكه، وإمام المسجد، ومدير المكتبة الوطنية.

وتنوّعت هذه الشخصيات بين أطفال وشيوخ ونساء ورجال ومثقفين وعمال وباعة، وتعددت جنسياتها، ففيها السوري والكردي واللبناني والفلسطيني، وكان بينها علاقات متواشجة وضرورية، وكان لكل شخصية دورها حتى نهاية الرواية.[11]

وقد استخدم الروائي الحوار والوصف في بناء هذه الشخصيات في الرواية، مع غلبة توظيفه الحوار الذي كشف عن معظم الصفات الجسدية والنفسية للشخصيات. ومن الحوار الذي كشف عن بعض صفات شخصية أبي جميل الجسديّة والنفسية الحوار ما دار بين أم جميل وجارتها أم وائل:

"وتسألها أم وائل:

. عن حب؟

. نعم عن حب، عمل زوجي في التدريس لمادة التاريخ في عفرين، كنت طالبته في الثالث الثانوي، وأنا كنت معجبة به، أسمر، حلو، رشيق، دمه خفيف، كان يعاملنا باحترام، ويشاركنا في عيد النيروز، بعض الأساتذة كانوا يسخرون من لهجتنا، ما كانوا يسخرون، في الحقيقة كانوا يعلّقون تعليقات خفيفة، ونحن كنا نتحسس، ما عدا الأستاذ عبد المجيد، أي زوجي أبو جميل، حتى صوته، كان لصوته خصوصية ..."."[12]

ومنه أيضًا ما دار بين أبي جميل والباحثة اللبنانية سلمى، وفيه يقدّم الروائي بعض الصفات الجسديّة لأبي جميل بعد تقدّمه في العمر:

"غير معقول؟ أنت من مواليد 1950؟

. نعم. عمرك الآن حوالي ثلاث وستين سنة.

. نعم.

[8] محمد غنيمي هلال، *النقد الأدبي الحديث* (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997)، 526.
[9] سمر روحي الفيصل، *بناء الرواية العربية السورية* (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1995)، 87.
[10] محمد الأحمد، "*البناء الفني للشخصيات وأبعادها الاجتماعية والنفسية في رواية يوم قتل الزعيم للروائي نجيب محفوظ*"، مجلة إلهيات تدقيقلاري 45 (2016)، 238-239.
[11] الأحمد، "*انعكاس الحرب على الرواية في سورية رواية شقة على شاعر النيل نموذجًا*"، 164.
[12] محبك، شقة على شارع النيل، 74.

. يخرب بيتك، والله كأنك في السبعين، وتارك شعرك أبيض، وقميصك أسود وأنت أسمر، ياعمي اصبغ شعرك والبس أي لون فاتح، انعش قلبك".[13]

وقد أراد الروائي من خلال الحوار السابق أن يظهر أثر الظروف الصعبة في هيئة أبي جميل، ولا سيما ظروف الحرب التي يعيشها.

وعامّة ركّز الروائي على وصف أثر الحرب في تقديم الشخصيات، فقد جاء في الرواية أن أبا جميل رأى مشهد قنص رجل عجوز أثناء مروره في المعبر الذي يفصل بين مناطق طرفي النزاع في حلب، يقول:

"– سمعنا صوت رصاصة قناص، سقط عجوز، عمره فوق السبعين، لحيته بيضاء طويلة، كان يتوكّأ على عصا، ويمشي على مهل.

- وهل أسعفه أحد؟

- أسرع إليه ثلاثة شبان، سحبوه إلى الطرف الآخر، فارق الحياة مع وصول سيارة الإسعاف، الإصابة في القلب مباشرة".[14]

وقد قدّمت الرواية الكثير من الشخصيات التي وقعت ضحية الحرب الدائرة في حلب، وأراد الروائي من خلال تقديم هذه الشخصيات أن يصوّر ما فعلته الحرب من مآس على الناس في حلب. فبالإضافة إلى الرجل العجوز الذي ذكرناه آنفًا هناك "عُلا" الموظفة في مديرية البريد التي كانت إحدى ضحايا الحرب في حلب، وذلك قنصًا في المعبر الذي قتل فيه العجوز أيضًا، جاء في الحوار بين أبي جميل وشقيقته:

". صديقتي، عُلا، يرحمها الله.

. لا إله إلا الله، عليها رحمة الله، كيف استشهدت.

. اليوم الخميس، انصرفت أنا وهي، واشترينا حاجاتنا، وكانت رايحة معي إلى بيتي في الكلاسة، حتى تنام عندي الخميس والجمعة والسبت، مثل عادتها كل أسبوع، وفي المعبر، سمعت طلقة، وإذا هي على الأرض، والدم يكُتُّ من رأسها.

. لا أعرف ماذا أقول؟ يا أختي، بل لا أجد ما أقول، حسبي الله ونعم الوكيل، يرحمها الله، إن شاء الله مع الشهداء والصالحين والأبرار، في جنات النعيم".[15]

وكذلك مقتل معلمة المدرسة والطالبات في المدرسة الابتدائية، الذي كشفته الرواية من خلال الحوار بين أبي جميل وزوجته أم جميل:

"أم جميل تنتفض، تتكلم بصوت متقطع، والغصة تخنقها:

. اليوم إحدى المدرسات ما جاءت إلى المدرسة، بنتها في الصف الرابع، نزلت قذيفة على المدرسة، استشهد ثلاث عشرة طفلة مع المعلمة، عدا الجرحى، بنتها ...بنتها يا أبو جميل، طفلة مثل الوردة، جاءت بها مرة إلى مدرستنا .....يا إلهي.

وتجهش ببكاء مختنق.

. حسبي الله ونعم الوكيل".[16]

ومن ضحايا الحرب في الرواية الباحثة اللبنانية سلمى والدكتور سامي وجميل وكثيرون غيرهم.

وقدّمت الرواية شخصيّات آثرت الهجرة على البقاء تحت القصف والقنص، ولا سيما المثقفين والمهنين في الرواية، جاء في الحوار بين أبي جميل وأم جميل:

"ويتكلم أبو جميل بنبرة مختلفة:

[13] محبك، *شقة على شارع النيل*، 134.
[14] محبك، *شقة على شارع النيل*، 63.
[15] محبك، *شقة على شارع النيل*، 101.
[16] محبك، *شقة على شارع النيل*، 190.

. آه، نسيت، عندي لك خبر، سيزعجك من غير شك.

. ما هو؟

. الطبيب عادل، الذي زرته لما أصابتني الحساسية، ورفض أَخْذَ الكشفية...

. أعرفه، وأعطاك الدواء من عنده، وأعرفه كان يعالج المرضى يوم الجمعة بالمجان، ويعطي الفقير ثمن الدواء، ماذا؟ هل قُبِض؟.

. لا، الحمد لله، لكن أخبرني جارنا أبو سليم بنزوحه منذ أسبوع، هاجر هو وأسرته إلى الجزائر.

. خسارة، طبيب ذكي وفهيم. حتى أبو علي مصلح الساعات، ومحله تحت عيادة الدكتور، نزح، قال، كما حكى لي أبو سليم: ما عاد أحد يصلح ساعته، ما عاد أحد يهتم لا بالوقت ولا العمر".[17]

وقد عنيت الرواية بتقديم الجوانب النفسية للشخصيات، ولا سيما الخوف الدائم الذي يعيشه الناس بسبب سقوط القذائف وإطلاق النيران من غير سابق إنذار، ومن دون زمن محدّد، والحوار التالي يبيّن الخوف الذي تعيشه أم جميل بسبب الحرب:

"ويدوي انفجار رهيب، ترتجّ له الأرض، أم جميل تترك المكنسة، تركض إلى أبو جميل تحتمي به، تلتفّ به، ودموعها تنهمر:

. أبو جميل.

أبو جميل يضمها إلى صدره، يحضنها بكلتا يديه:

. يا أبو جميل، والله مالي غيرك...".[18]

وصوّرت الرواية عجز الناس في حلب أمام جرائم الحرب، وعدم قدرتهم على فعل أي شيء سوى تسليم الأمر لله والدعاء:

"يزداد تبادل القذائف.

أم جميل تتكلم وهي خائفة:

. الوضع لا يحتمل، يا أبو جميل.

. لا تخافي، القذائف كلها تمرّ من فوقنا.

. وإذا سقطت إحدى القذائف فوقنا؟

. هذا قدرنا، نحن مدنيون، ولا نستطيع فعل شيء سوى تسليم الأمر لله، والدعاء.

الجدران تهتزّ، الأرض ترتج، الأبواب تنخلع، النوافذ الزجاجية تتحطم.

الهاتف الجوال عند أم جميل يرن، أم وائل تدعوها للنزول إلى شقتهم.

أم وائل تسرع إلى الترحيب بهم، وهي تسأل لاهثة:

. أرجوكم، قولوا لي ماذا يجري؟".[19]

[17] محبك، *شقة على شارع النيل*، 213.
[18] محبك، *شقة على شارع النيل*، 243.
[19] محبك، *شقة على شارع النيل*، 245.

يمكننا ملاحظة أن الروائي اهتم بإظهار الصفات النفسية أكثر من الصفات الجسدية في بناء شخصياته، واعتمد على الحوار في تقديمها للقارئ؛ لأنه أقدر على كشف الحزن والقهر والظلم الذي تعانيه هذه الشخصيات. وقد ظهرت الشخصيات عامة بائسة، مستسلمة لمصيرها، فأمامها الموت أو الهجرة أو الصبر على البلاء.

4. بناء الزمن

نظام الزمن في الرواية مزدوج، "حيث نصادف مظهرين لزمن الحكاية: الأول هو زمن الأحداث كما وقعت بالفعل، والثاني يخضع لانتظامات الخطاب أو القصة. وبناء الزمن السردي في حركته داخل القصة يشتمل على بعدين متقاطعين: بعد أفقي، وبعد عامودي؛ ويمثل الأول ما يصيب السرد من تغيرات في التسلسل المنطقي للأحداث ويؤدي إلى تقديم بعض الأحداث وتأخير أخرى، وهو ما يطلق عليه الاسترجاع والاستباق، أما الثاني فيتمثل في الاستغراق الزمني، أي يتعلق بوتيرة سرد الأحداث من حيث سرعتها أو بطؤها؛ ففي حالة التسريع يجري تلخيص بعض الأحداث في تقنية (الخلاصة) وحذف بعضها في تقنية (الحذف)، أما في تبطيء الزمن فيجري إيقاف الزمن مؤقتًا بغية تمديد الخطاب في تقنيتي (المشهد، والوصف)".[20]

يمتد الزمن في الرواية التي ندرسها على قرابة خمسة عقود منذ كان أبو جميل في العاشرة من عمره إلى بلوغه الثالثة والستين في آخر شهر نيسان عام 2013، في حين لا يتجاوز زمن المحكي شهرًا ونصف، من منتصف شهر آذار تقريبًا حتى الثلاثين من شهر نيسان عام 2013.[21]

ويمكن للقارئ أن يقف على زمن المحكي من خلال تتبع المقبوسين الآتيين:

" في أقل من عشرين يوماً أتمّ وزوجته تأثيث الشقة، من يوم الفراغة واستلام مفتاح الشقة في 14 آذار حتى نومهما أول ليلة في 4 نيسان، اشتريا كل شيء، في كل يوم يشتريان أشياء جديدة، يستمتعان بالنزول إلى السوق والشراء".[22]

"يمسح دموعها، يقبل رأسها، يمسك بيدها، ويهمس:

. انتظرنا عشر سنين، بقي بضعة أيام، صلّي لله، وادعي له بسلامة الوصول، نحن اليوم في 20 نيسان بعد عشرة أيام في 30 نيسان يصل جميل بإذن الله".[23]

اتبع الروائي نظام التداخل في بناء الزمن في روايته، وهذا النوع من البناء يتيح للروائي استخدام مختلف الطرق في صوغ الزمن في روايته. ويحتلّ هذا النظام مكانة أولى بين نظم صوغ المتون في الرواية العربية المعاصرة.[24]

اعتمد بناء الزمن في الرواية على الاسترجاع، حيث استرجع الروائي الأحداث ليتسنى له تتبع ماضي الشخصيات، وإعطاء معلومات اقتضاها حاضر السرد. فاسترجع الأحداث الخاصة بأبي جميل وأم جميل وبعض الشخصيات الأخرى في الرواية.

جاء في إحدى هذه الاسترجاعات: "استرهنت شقة في حي الجابرية القريب من حي ميسلون، هذا عام 1993، هي شقة تحت الأرض لا ترى الشمس ولا يدخلها الهواء، ... وفي السنة التالية عام 1999 استأجرت غرفتين صغيرتين في حي الحميدية في دار واسعة تضم عشر غرف، بمنطقة السيد علي، ... ابني جميل راسل أمريكا وحصل على منحة للدراسة والتخصص، وسافر في نفس سنة التخرج، وفي عام 2000 تخرجت هيفين، وبقيت ثلاث سنين من غير عمل، لا مسابقة للمدرسات، ولا وظيفة، قابلتْ أحد المسؤولين، قال لها: الدولة غير مكلفة بتوظيف كل المتخرجين في الجامعات، نحن نفتح الفرص للدراسة، ونمنح الشهادات، نعد الكفاءات، يمكن العمل في الأقطار العربية، الوطن العربي واحد، في عام 2004 خطبها شاب مهندس من حلب يعمل في قطر، وفي السنة نفسها تزوجت وسافرت معه، نحن كنا في عام 2001 انتقلنا إلى دار صغيرة مستأجرة في حي الإسماعيلية، بقينا في الإسماعيلة بجوار ثانوية المأمون أربع سنين، أو خمس سنين تقريباً، كانت الشقة مثل الشقة في الجابرية، هي قبو، تنزل إليها عشرين درجة".[25]

[20] محمد الأحمد، "*البنية الفنية في قصة يوسف عليه السلام*"، *مجلة كلية الإلهيات في جامعة جومش خانة* (GİFAD) 15/8 (يناير 2019)، 162.
[21] الأحمد، "*انعكاس الحرب على الرواية في سورية رواية شقة على شاعر النيل نمونجًا*"، 160.
[22] محبك، *شقة على شارع النيل*، 68.
[23] محبك، *شقة على شارع النيل*، 69.
[24] عبد الله إبراهيم، *المتخيل السردي*، ط1 (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1990)، 110.
[25] محبك، شقة على شارع النيل، 76-77.

يستطيع القارئ من هذا المقبوس أن يتعرّف على جزء مهم من حياة أبي جميل، وقد استخدم الروائي هنا بالإضافة إلى تقنية الاسترجاع تقنيات الحذف والتلخيص والوصف أيضًا؛ فوصف الشقق التي عاش فيها في الجابرية والحميدية والإسماعيلية، ولخّص حياة أسرته بين عامي 1993 و2004؛ فاكتفى بما هو مهم من ملعومات، وحذف ما لا أهمية له في السرد.

ويستطيع القارئ أيضًا أن يعرف جزءًا من ماضي أم جميل حين كانت طالبة من المشهد الحواري الآتي بينها وبين أبي جميل:

"أم جميل تعلق:

ـ ذكّرتني، لما كنت طالبة في الصف الثالث الإعدادي، قمنا برحلة إلى حلب، زرنا فيها القلعة، وعلى برج من أبراجها كان يقف حجر كبير، ثلثه فوق الجدار، وثلثاه في الهواء، وقفت أتأمله، قالت لي المدرّسة حينها: لا تخافي، هذا معلق هكذا من ألف سنة، وما وقع".[26]

ويلحظ القارئ قلة الاستباق في الرواية، وقد لجأ إليها الروائي لاستشراف أحداث لاحقة يجري الإعداد لسردها وحمل القارئ على توقعها والتنبؤ بمستقبل الشخصيات فيها، وشدّ انتباهه إليها، والتشوّق لمعرفة نتائجها. وتضمّنت الرواية استباقات تتعلّق بوصول جميل من السفر وتوقع ردّة فعله حين يعرف احتراق الشقة التي اشتراها والده أبو جميل، منها:

"أبو جميل يقول له"

ـ أشكرك يا أبو سامر، ولكن نحن الآن في يوم الأحد، بعد غد الثلاثاء يصل ابني جميل، ونبقى هنا يومين في ضيافة أخي أبو وائل، ولا بد من زيارة عفرين، وبعدها نقرر، قد نبيع الشقة كما هي".[27]

"جميل يكلم أمه، ثم يعود ليكلم والده:

ـ من المتوقع وصولي إلى حلب في الرابعة مساء، سوف آخذ سيارة أجرة إلى دوار الدلة، مباركة الشقة الجديدة يا أبي.[28]

وعامّة اهتم الروائي بذكر الزمن الذي يساعده على إظهار أثر الحرب في مدينة حلب، فركّز على الوقفات الزمنية التي تظهر هذا الأثر، ولا سيما في الحوار بين الشخصيات، جاء في حوار بين أبي جميل والباحثة اللبنانية:

"ما رأيك: نذهب إلى ملهى ليلي ونسهر فيه إلى الفجر؟.

يضحك، ينظر في ساعة يده، يعلق:

ـ لا سهر، ولا ملهى، حتى ولا سينما ولا مسرح، حلب الآن نامت، الأوضاع اختلفت، الساعة الآن السابعة والنصف، المحلات كلها مغلقة، ولن ترى الآن في طريقك إلى الفندق غير القليل من السيارات".[29]

تبدو مدينة حلب من المقبوس مدينة أشباح في الليل؛ فالحركة قليلة، والناس يختبئون في بيوتهم، ووسائل الترفيه معطّلة.

ونتيجة انقسام مدينة حلب بين المتحاربين صار على المرء أن يسافر ساعات طويلة ليصل إلى مكان كان يصله في الماضي بعشر دقائق، ويبدو هذا من حوار بين أبي جميل وأخته:

"يتصل بها عبر الهاتف الجوال، يسأل عنها، يخبرها أنه في الشقة ينتظرها، تجيبه:

ـ غادرت مع الأولاد الساعة السادسة فجراً، لن أصل حتى الرابعة، نحن سنلف وندور عبر البادية إلى حماه، ومنها إلى حلب، ارجع إلى البيت، فور اقترابي من حلب سأتصل بك...

[26] محبك، *شقة على شارع النيل*، 22.
[27] محبك، *شقة على شارع النيل*، 275.
[28] محبك، *شقة على شارع النيل*، 281.
[29] محبك، *شقة على شارع النيل*، 137-138.

في الساعة الثانية تتصل به أخته، تخبره أنها على وشك الدخول إلى حلب، يؤكد لها أنه في الشقة ينتظر.

في الثالثة والنصف تدخل أخته مع أولادها.

تحكي له عن القذائف وعن دمار الغرفة الجنوبية في شقتها، كما تحكي له عن مشقات الطريق، ثم تؤكد:

. عشر ساعات حتى أصل من الكلاسة إلى الملعب البلدي، كنت أمشيها على قدمي فأصل في عشر دقائق".[30]

ويبين الروائي في الاستباق التالي الزمن الطويل الذي يستغرقه السفر بين بيروت وحلب بسبب الحرب، فالسيدة اللبنانية كان عليها أن تنفق ثلاثة أضعاف ما كانت تنفقه من الزمن لقطع المسافة بين بيروت وحلب:

"تصمت ثم تضيف:

. وأنا مسافرة غداً الساعة السادسة صباحاً، لن أسهر، سأنام وآخذ حقي من الراحة، أمامي على الأقل عشر ساعات من السفر، وأخطأت ما أحضرت معي سائقي، سأسوق أنا بنفسي، هذه أول مرة أزور فيها حلب، وأعرف الحافلة تقطع المسافة بين حلب وبيروت في خمس ساعات أو ست ساعات، قدَّرْتُ قطعها بسيارتي في أربع ساعات، استغرق الطريق معي إحدى عشرة ساعة، حواجز كثيرة وتفتيش وتحقيقات وزحمة حدود، عدا مخاطر القذائف والاشتباكات".[31]

ويبين في تحديد الدقيق للزمن ما فعله انفجار بالممتلكات الخاصة من سيارات وغيرها:

"عند الحادية عشرة قبل منتصف الليل يدوي انفجار كبير، يسرع أبو جميل إلى الشرفة، يرى سيارة قرب الرصيف أمام باب العمارة، وهي تحترق".[32]

"وصلني الآن: انفجار مروّع عند الساعة السادسة من صباح هذا اليوم يدمر مقهى جحا في ساحة سعد الله الجابري بحلب".[33]

وظف الروائي مختلف التقنيات في بناء الزمن من استرجاع واستباق ووصف ومشهد وتلخيص وحذف وغيرها، وركّز في بناء الزمن على اللحظات التي تبرز الخراب الذي أصاب حلب، والحزن الذي أصاب أهلها.

5. بناء المكان

يعتمد الروائيون في وصف المكان عمومًا على مبدأي الاستقصاء والانتقاء، ويعني الاستقصاء أن يصف الراوي كل ما تقع عليه عيناه من الموصوف بشكل مفصّل، أما الانتقاء فيعني أن يختار الراوي من الموصوف "بعض المشاهد الدّالة، تاركاً للقارئ مجالاً لإعمال الذهن"[34]. ويتخذ المكان في الرواية أشكالاً متعددة، ويحتوي على معان كثيرة، وقد يكون في بعض الأحيان هو هدف الرواية.[35]

و"لا يخفى على قارئ الرواية احتفاء الروائي بالمكان، ويبدو هذا جليّا في العنوان الذي اختاره لروايته "شقّة على شارع النيل"، كما يتجلّى في اهتمامه اللافت للنظر في وصف الأمكنة الحلبيّة في الرواية؛ من بيوت، وحدائق، وشوارع، ودكاكين، ومطاعم، وغيرها".[36]

فقد وصف الشقق التي سكنها أبو جميل وزوجته خلال مراحل حياته، كما وصف الدار التي عاش فيها مع أهله أيام طفولته، والمرحلة الأولى من حياته الزوجية. وعني بتقديم وصف دقيق للشقة التي اشتراها في شارع النيل، والتي يشير إليها عنوان الرواية، جاء في الرواية وصف هذه الشقة على لسان أم جميل وهي تتحدّث إلى زميلاتها في المدرسة الثانوية، تقول: "شقة ذهب، هي الذهب حقيقة، خمس غرف، ثلاث غرف مطلة على الجهة الغربية، أمامك شارع النيل على طوله، وتحتك دوار الدلة، وأمامك حديقة السبيل، غرف مشرقة، نوافذها واسعة، وهي تشترك بشرفة واحدة طولها تسعة أمتار، وعرضها

[30] محبك، *شقة على شارع النيل*، 209.
[31] محبك، *شقة على شارع النيل*، 138.
[32] محبك، *شقة على شارع النيل*، 214.
[33] محبك، *شقة على شارع النيل*، 146.
[34] محمد عزام، *شعرية الخطاب الروائي* (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2005)، ص70.
[35] حسن بحراوي، *بنية الشكل الروائي*، ط1 (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1990)، 29.
[36] الأحمد، "*انعكاس الحرب على الرواية في سورية رواية شقة على شاعر النيل نموذجًا*"، 162.

ثلاثة أمتار، الجدران كلها مغطاة بورق جدران من نوع فاخر، مخمليّ، فيه رسوم زهور نافرة، وكل غرفة بلون، غرفة بلون الكيوي، وثانية بلون زهري فاتح، وثالثة بلون برتقالي فاتح، وغرفة على الجهة الشمالية، هذه باردة في الصيف، ورق الجدران فيها بلون سماوي فاتح، تصلح للنوم، وغرفة شرقية صغيرة نسبياً، أربعة أمتار بأربعة أمتار، باقي الغرف كلها ستة أمتار بستة، وهذه الغرفة لها شرفة صغيرة مشتركة مع المطبخ، تصلح للطعام، لأن المطبخ بجوارها، والمطبخ خمسة أمتار بأربعة، فيه خزائن خشبية فاخرة، الأسقف كلها مستعارة، ومزودة بمصابيح وأضواء حديثة، شقة جنة".[37]

ونستطيع أن نتعرّف على إعجاب أبي جميل بالشقة من خلال حواره مع زوجته:

"يتكلم:

. ما رأيك بالشقة؟

. أعجبتني.

. لا تقولي أعجبتني، قولي رائعة، والله الإطلالة من الشرفة على حديقة السبيل تساوي الدنيا كلها، ولا تنسي منظر الدلة وحولها فناجين القهوة، والماء ينصب من الدلة في الفنجان، وخاصة في الليل، عندما تلعب الأضواء مع الماء".[38]

والحقيقة أن مسكن الإنسان هو المكان الأكثر أهمية من بين الأمكنة في الرواية، ولهذا نجد غاستون باشلار يولي البيت أهمية كبيرة في الرواية، ويعدّه الركن المكاني الأول في العالم الروائي.[39] ويقول رينيه ويليك: "فإنك إذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان، فالبيوت تعبر عن أصحابها، وهي تفعل فعل الجوِ في نفوس الآخرين الذين يتوجب عليهم أن يعيشوا فيه"[40].

وتضمّنت الرواية وصفًا لدار الكتب الوطنية في باب الفرج: "دخل إلى دار الكتب الوطنية، احتواه الصمت المقدَّس، أطل عليه تمثال المعري، وهو يصعد الدرج، انعطف مع الدرج الصاعد نحو الشمال، مرَّ بقاعة إلى جوار بابها المفتوح لوحة نحاسية تحمل عبارة " قاعة عمر أبو ريشة"، رأى من خلال بابها المفتوح بعض الباحثين يقعدون إلى طاولة مستطيلة وأمام كل منهم بضعة كتب، مر بباب مستودع الكتب، نفحته رائحة ناشفة يابسة للكتب، التفت إلى قاعة المطالعة الملاصقة لمخزن الكتب، وقف في الباب يتأمل المناضد المستطيلة المتوازية، ليس ثمة غير خمسة طلاب أو عشرة".[41]

وصوّرت الرواية ما خلفته الحرب من دمار في كثير من الأماكن في حلب، منها وصف مكان الانفجار في ساحة سعد الله الجابري، حيث كان أحد الباعة يبيع لوازم بيتية صغيرة والناس يتسوّرون من حوله، فتسقط عليهم قذيفة تمزقهم إلى أشلاء تختلط بما كان:

"ويدوي صوت انفجار.

ترتج من تحتهما الأرض، ويجد كل منهما نفسه وقد اندفع ليختبئ وراء مبنى البريد.

يدركان أن الانفجارحصل حيث كانا قبل قليل.

يرجعان ليريا البسطة الفقيرة وقد تناثر كل ما فيها واختلط بأشلاء مَنْ حولها مِن أطفال ونساء ورجال".[42]

وبيت أبي حسين في حي الفرافرة الذي دمّرته القذائف:

"ولا تنسي أخي أبو حسين فَقَد كل شيء، كان أكبر تاجر دواليب في حلب، واليوم يعيش على راتب ابنه المهندس، بعد ما نزلت قذائف على دارنا في الفرافرة وأحرقت كل ما خزن فيها من دواليب، حتى الدار نزلت حجارتها حجراً على حجر. وأخوك كامل، يمكنها العيش معه.

[37] محبك، *شقة على شارع النيل*، 29.
[38] محبك، *شقة على شارع النيل*، 23.
[39] غاستون باشلار، *جماليات المكان*، ترج. غالب هلسا، ط2 (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1984)، 36.
[40] رينيه ويليك- أوستن وارين، *نظرية الأدب*، ترج. محي الدين صبحي، ط1 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981)، 231.
[41] محبك، *شقة على شارع النيل*، 93.
[42] محبك، *شقة على شارع النيل*، 8.

. أخي كامل ترك داره ودكانه في حي المعادي، ونزح إلى تركيا، نزلت قذيفة أمام دكانه، وعدة قذائف في محيط داره ...".[43]

ثم بيت أبي جميل نفسه الذي احترق نتيجة سقوط قذيفة:

"أبو جميل يعلق:

. أسرع، أظن هي شقتي، لا شقتك.

ويصل أبو جميل وأبو وائل، ليجدا رجال الإطفاء يمدون خراطيم الماء وهم يحاولون إطفاء الحريق، تمر نصف ساعة، والنار ما تزال تشتعل.

الشقة كلها تشتعل.

تصل أم وائل وتصل أم جميل.

بعد نحو الساعة يخمد الحريق، ولكن يظل الدخان الأسود يتصاعد من النوافذ والأبواب.

رجال وأطفال في الحي ما يزالون واقفين ذاهلين أمام شقة أبو جميل".[44]

والدمار الذي لحق بالفندق السياحي وما يجاوره من أماكن: "وصلني الآن: انفجار مروّع عند الساعة السادسة من صباح هذا اليوم يدمر مقهى جحا في ساحة سعد الله الجابري بحلب، ويلحق الأضرار بالفندق السياحي المقابل للمقهى، سقط ثلاثة شهداء من المواطنين الأبرياء، واستشهدت سائحة لبنانية كانت تغادر الفندق وتهم بركوب سيارتها لحظة الانفجار".[45]

وأظهرت الرواية أثر الحرب على حديقة السبيل نتيجة إهمال العناية بها، فيبست أشجارها وغابت خضرتها، وتحوّلت إلى مكان للفساد بعد أن كانت متنفّسًا يأوي الناس للترويح عن أنفسهم والتمتع بخضرة الأشجار وأصوات العصافير ورقرقة الماء وتنشق الهواء العليل:

"أبو جميل يقول:

. نعم هذه هي البركة، ماذا حصل؟

.كم كانت جميلة، رقيقة المياه شفافة، أرضها مفروشة بالسيراميك الأزرق الفاتح، الماء فيها بلون السماء، وفي الوسط نافورة صغيرة، يتقافز الماء منها ويسقط مثل المطر الخفيف، كانت حافاتها واطئة وهي من حجر أصفر أملس ناعم كالمخمل، لا أرى الآن سوى الحفائر في أرضها، وحافاتها مكسرة، وفي وسطها أنابيب رفيعة وأخرى ثخينة كأنها أوردة وشرايين أو أمعاء مدلوقة".[46]

والأماكن الأثرية لم تسلم من الحرب أيضًا:

"هل سمعت؟ نسفوا اليوم باب القلعة، قلعة حلب، هذا الباب الأثري الرائع.

. خسارة نسف المئذنة، وخسارة نسف باب القلعة".[47]

وختم الروائي روايته بمشهد محزن وصف فيه المكان الذي قُتل فيه الطبيب جميل الذي أحب أن يعود إلى وطنه ويقوم بواجبه تجاه جرحى ومرضى أبنائه:

"يصيح أبو جميل:

[43] محبك، *شقة على شارع النيل*، 206.
[44] محبك، *شقة على شارع النيل*، 271-272.
[45] محبك، *شقة على شارع النيل*، 146.
[46] محبك، *شقة على شارع النيل*، 183.
[47] محبك، *شقة على شارع النيل*، 217.

. وجثمان ابني.

. من المؤسف ياعم، لا جثث ولا جثامين ولا حقائب ولا جوازات سفر، فقط الهيكل الحديدي للميكرو وثلاث جوالات، من الجوالات عرفنا الشخصيات، لاشك الشركة عندها قائمة بأسماء ركاب حلب، يرحم الله الجميع، يسلم الدين والإيمان، هو من الشهداء إن شاء الله، وتقبل تعازينا.

. والجثة ...الجثة.

. لا أثر، ولا جثة، ولا جثمان، لا للركاب ولا للسائق، فقط الجوالات، سنتصل بك، وسيصل الجوال إلى العنوان الذي تريده، سنتصل بك فيما بعد...

. ياعم، أنا أحمد رمضان، رئيس فرقة الإنقاذ، الميكرو مرَّ بين هضبتين، وانهالت عليه القذائف ...

. من كان يطلق القذائف؟.

. من الشمال ومن الجنوب، ومن الشرق والغرب، كل طرف يظن أن الميكرو من الطرف الآخر، انهالت عليه القذائف من كل الجهات، الميكرو أصيب بأكثر من قذيفة إصابة مباشرة، أسرعنا نحن فرقة الإنقاذ، ما استطعنا الاقتراب، كنا نرى الميكرو أمامنا يحترق، والقذائف تنهمر مثل المطر، ثم بدأ إطلاق النار، بعدما انتهى كل شيء، اقتربنا نحن في سيارة إسعاف رافعين الأعلام البيض، كل شيء محترق، ما عثرنا على غير أقفال الحقائب، وسبع جوالات محترقة، وعلى بعد عدة أمتار عثرنا على ثلاثة جوالات".[48]

إنّ الروائي أراد من وصف الأماكن التي خرّبتها الحرب الدائرة في حلب أن يدلّل "على همجية الحرب ولا مشروعيتها، لأنها تأتي على البشر والحجر، وتدمر العمق التاريخي والثقافي والحضاري".[49]

يبدو الروائي في وصف المكان مهتمًّا بوصف الأماكن التاريخية والأماكن ذات البعد الحضاري في مدينة حلب، كقلعة حلب، والجامع الأموي، وجامع العثمانية، ودار الكتب الوطنية، وجامع الرحمن، وغيرها؛ ليضع القارئ أمام أهميّة هذه المدينة، ويبيّن الدمار الذي أصاب معظم الأمكنة الحلبية بسبب الحرب.

6. بناء اللغة

اللغة من أهم العناصر التي يوظفها الروائي في روايته؛ لأنها شكل فني يدخل في عمق التجربة اللغوية الفنية لدى أي كاتب، وهي وسيلته الأولى إلى جذب القارئ نحو الأفكار التي يطرحها في الرواية. و"هي المعيار الأساسي المعوّل عليه، وذلك لما تحمله من طاقات وإمكانات؛ فهي تبعث على الإدهاش أو عدمه، أو الغرابة أو الوضوح ... فالمادة الأساسية التي تشكّل الإغراء ليس الموضوع الذي تتحدّث عنه لغة النص فقط، بل اللغة نفسها".[50]

إنّ أهميّة اللغة في الرواية دفعت الروائي العربي واسيني الأعرج إلى القول: "عملي الأكبر على اللغة، فهي إغوائي وعشقي، أغوي قارئي بواسطة عشقية اللغة؛ لكي يدخل إلى الموضوعات الحسّاسة، لأنه من دون اللغة سيظل بعيدًا".[51]

لقد تعدّدت مستويات اللغة في رواية "شقة على شارع النيل"، وسيطر المستوى الفصيح على السرد عامّة، وجاءت اللغة في جمل قصيرة، وألفاظ سهلة واضحة بعيدة عن التعقيد اللفظي والمعنوي. والمقبوس الآتي يضع المتلقي أمام مستوى اللغة في الرواية:

"وقف أبو جميل بقربها، وضع يديه مثلها على السور، قريبًا منها، همّ بوضع يده فوق يدها، ولكنّه سرعان ما تحاشى ذلك، أحسّ بإنشراح في صدره، كتم انفعاله، لم يعبّر".[52]

---

[48] محبك، *شقة على شارع النيل*، 284-285.
[49] الأحمد، "*انعكاس الحرب على الرواية في سورية رواية شقة على شاعر النيل نموذجًا*"، 163.
[50] موسى ربابعة، *جماليات الأسلوب والتلقي*، ط1 (عمّان: دار جرير للنشر والتوزيع، 2008)، 65.
[51] سهام شراد، *واسيني الأعرج قاب قوسين أو أدنى*، ط1 (الجزائر: منشورات بغدادي، 2014)، 31.
[52] محبك، *شقة على شارع النيل*، 9.

وجاءت خطابات الشخصيات فيها متلونة بالمستوى الاجتماعي التي تنتمي إليه، ومناسبة للمستوى الثقافي والعلمي للشخصيات. وكانت لغة الحوار عامّة سهلة قريبة من اللغة المحكية في حلب، وتخلّلها بعض المفردات الأجنبية المستخدمة في لهجة أبناء حلب، مثل: (أباجور، شاورما، رعبون، ديكور، كمبيوتر، بنك، إنترفون، بانيو، بيكادوش، وغيرها). كما تضمّن السرد بعض الأغاني للمطربة أم كلثوم باللهجة المصرية.[53]

وقد أبدى الروائي اهتمامًا باستخدام جمل تعبّر عن كراهيته للحرب وآثارها، وتنفّر القارئ منها في الوقت نفسه، كما في وصفه لأثر الانفجار في ساحة سعد الله الجابري:

"يرجعان ليريا البسطة الفقيرة وقد تناثر كل ما فيها واختلط بأشلاء مَنْ حولها مِن أطفال ونساء ورجال".[54]

وكذلك في وصف المتسوّل العجوز في حديقة السبيل:

"عند باب الحديقة يعترضهما عجوز يمدّ لهم يده اليسرى بالسؤال، يده اليمنى مقطوعة عند الرسغ، موضع القطع ظاهر، حيث يظهر الجلد المتجعد، وهو يحسر القميص عن يده، أم جميل تفتح حقيبتها، تضع في يده اليسرى مبلغاً ما".[55]

يسعى الروائي في كل عنصر من عناصر السرد في روايته إلى أن يبرز الجانب السلبي للحرب، وآثارها المدمّرة، ويصوّرها على نحو ينفّر المتلقي منها. وهو يؤكّد في كل ما جاء في الرواية على مقته الحرب، ووقوفها ضدّها.

خاتمة

وظّف الروائي من العناصر السرديّة في الرواية ما استطاع من خلاله أن يقدّم أفكاره حول الحرب في حلب، ويكشف عن آثارها التخريبية على كل شيء في هذه المدينة.

وقد اعتمد على شخصيات اجتماعية من فئات متعددة، وأظهر أنّ الحرب أضرّت بكلّ هذه الشخصيات، فمنها من قتل نتيجة القذائف وتحوّل جسده إلى أشلاء، ومنهم من قُتل بطلقة قنّاص، وآخرون هاجروا هربًا من ويلات الحرب، وكل واحد من هؤلاء جلب الحزن والألم لأقربائه وأصدقائه وجيرانه. وقد اهتم الكاتب بالصفات الجسدية والنفسية، لكنّه ركّز على الصفات النفسية أكثر في بناء الشخصيات، فأظهر أحزانها وآلامها وعجزها أمام نتائج الحرب.

واعتنى الروائي بوصف المكان في الرواية، وكشف على أثر الحرب في تدمير مختلف أنواع الأمكنة في حلب، فالبيوت، والمساجد، والأماكن الأثرية، والحدائق والساحات أصابها الخراب، وركّز اهتمامه على وصف الأماكن التي تكشف عن الأضرار بالوجه الحضاري لهذه المدينة العريقة.

واعتمد في بناء الزمن على المفارقات الزمنية بشتى أنواعها، وعني بتقديم اللحظات الدقيقة التي أظهرت مشاهد القتل للإنسان والتخريب للمكان.

ووظّف لغة فصيحة واضحة سهلة بعيدة عن التعقيد اللفظي والعنوي، ومناسبة للمستوى الاجتماعي والثقافي والعلمي للشخصيات الناطقة بها، وتضمّنت لغة الحوار بعض الكلمات الأجنبيّة المستخدمة في اللهجة الحلبيّة، وعني الروائي بالألفاظ والجمل التي تظهر بشاعة الحرب وآثارها المدمّرة.

إن رواية "شقة على شارع النيل" تعمل على توجيه وإرشاد السلوك الإنساني على نحو غير مباشر، وذلك من خلال الكشف عن آثار الحرب المدمّرة، وكشف سلوك الشخصيات في الرواية ومناقشته، وترك الحكم للمتلقي الذي يؤدي دورًا مهمًّا في تكوين العلاقة مع النص الروائي.

[53] محبك، *شقة على شارع النيل*، 28.
[54] محبك، *شقة على شارع النيل*، 8.
[55] محبك، *شقة على شارع النيل*، 182.

المراجع

إبراهيم، عبد الله. *المتخيل السردي*. ط1. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1990.

الأحمد، محمد. "البعد النفسي في رواية حمامات بيض ونارجيلة لأحمد زياد محبك". *مجلة شرقيات* 2/11 (أغسطس 2019)، 614-648.

الأحمد، محمد. "البناء الفني للشخصيات وأبعادها الاجتماعية والنفسية في رواية يوم قتل الزعيم للروائي نجيب محفوظ". *مجلة إلهيات تدقيقلاري* 45 (2016)،259 - 233 .

الأحمد، محمد. "البنية الفنية في قصة يوسف عليه السلام"، *مجلة كلية الإلهيات في جامعة جوموشهانة (GİFAD)* 15/8 (يناير 2019)، 154-173.

الأحمد، محمد. "انعكاس الحرب على الرواية في سورية رواية شقة على شاعر النيل نموذجًا". *(ÇÜİLD)* 1/19 (يونيو 2019)، 158-167.

باشلار، غاستون. *جماليات المكان*. ترج. غالب هلسا. ط2. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1984.

بحراوي، حسن. *بنية الشكل الروائي*، ط1. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1990.

جنيت، جيرار وآخرون. *نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير*. ترج. ناجي مصطفى. ط1. الدار البيضاء: منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، 1989.

ربايعة، موسى. *جماليات الأسلوب والتلقي*. ط1. عمّان: دار جرير للنشر والتوزيع، 2008.

شراد، سهام. *واسيني الأعرج قاب قوسين أو أدنى*. ط.1 الجزائر: منشورات بغدادي، 2014.

عزام، محمد، *شعرية الخطاب الروائي*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2005.

غنيمي هلال، محمد. *النقد الأدبي الحديث*. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997.

الفيصل، سمر روحي. *بناء الرواية العربية السورية*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1995.

لحمداني، حميد. *بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي*. ط1. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1991.

محبك، أحمد زياد، *شقة على شارع النيل*. دمشق: دار أمل الجديدة، 2018.

ويليك، رينيه- وارين، أوستن. *نظرية الأدب*. ترج. محي الدين صبحي، ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981.

Kaynakça

Alahmad, Mohamad. "el-Binâu'l-Fennî li'ş-Şahsiyyêt ve Eb'âduhâ el-İctimâ'iyye ve'n-Nefsiyye fi Rivâyit Yevme Kutile ez-Ze'îm li'r-Rivâi Necip Mahfûz". *İlahiyat Tetkikleri Dergisi* 45 (2016), 233-259.

Alahmad, Mohamad. "el-Bu'du'n-Nefsî fi Rivâyeti *H*amâmâti Bîd ve Nârgile li-Ahmed Ziyâd Muhabbik". *Şarkiyât Dergisi* 2/11 (Ağustos 2019), 614-648.

Alahmad, Mohamad. "el-Bunye el-Fenniyye Fi Kissati Yusuf Alehi's-Selêm". *Gümüşhane Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi* 8/15 (Ocak 2019): 154-173.

Alahmad, Mohamad. "İn'ikâsu'l-Harb 'ala'r-Rivâyeti fî Suriye Rivâyetu Şakka alâ Şâri'in-Nîl Nemûzecen". *Çukurova Üniversitesi İlahiyet Fakültesi Dergisi* 1/19 (Haziran 2019), 158-167.

Azzâm, Muhammed. *Şi'riyyetu el-Hitab es-Serdî*. Dımeşk: Menşurât İttihâdi-'kuttâbi'-'Arab, 2005.

Bachelard, Gaston. *Cemêliyêtu'l-Mekên*. Trc. Galip Helsê. 2. Baskı. Beyrut: el-Muessesetü'l-Câmi'iyye li'd-Dirâsê ve'n-Neşr, 1984.

Bahrâvî, Hasan. *Bunyetu'ş-şekli'r-rivâ'î*. 1. Baskı. Beyrut: el-Merkezü's-Sekâfî'l-'Arabiyyi, 1990.

Faysal, Semer Ruhî. *Binâu'er-rivâyeti'l-'Arabiyye es-Suriyye*. Dımaşk: Menşurâtu İttihâd'l-Kuttâbi'l-'Arab, 1995.

Genette, Gerard vd. *Nezariyyetu's-serd min vucheti'n-nazari ile't-tab'îr*. trc. Naci Mustafa. 1. Baskı. ed-Dâru'l-Beydâ: Menşûratü'l-Hivâri'l-akademî ve'l-Câmi' I, 1989.

Guneymi Hilal, Muhammed. e*n-Nakdu'l-edebi'l-hadîs*. Kâhire: Dâru'n-Nehda Mısr li't-tıbâ ve'n-neşr ve't-tevzî', 1997.

İbrahim, Abdullah. *el-Muteḫayyilu's-Serdî*. 1. Baskı. Beyrut: el-Merkezu's-Sekâfi'l-'Arabî, 1990.

Lhamdânî, Hamîd. *Bunyetu'n-nasi's-serdî min manzûri'n-nakdi'l-edebî*. Beyrut: el-Merkezu's-Sekāfi'l-'Arabî, 1991.

Muhabbik, Ahmed Ziyad. *Şekkatun 'alâ Şari'n-Nil*. Dımaşk: Daru'l-Emeli'l-cedîde, 2018.

Rabâyi'a, Musa. *Cemêliyyêtu'l-uslûb ve't-telakkî*. 1.Baskı. Amman: Dâru Cerîr li'n-neşr ve't-tevzi', 2008.

Şerrad, Sihem. *Vâsînî el-A'râc Kâbe Kavseyni av Ednâ*. 1.Baskı. el-Cezair: Menşûratu Beğdâdî, 2014.

Wellek, Rene – Warren, Austin. *Nezeriyyetu'l-Edeb*. Çev. Muhyiddin Subhi. Beyrût: Matbaa'tu Halid Tarâbîşî,1981.